من حصاد الأسبوع

المخطوفون والمفقودون: مسألة حق يراد بها
والمستهدف الاول فيها المصداقية السياسية للحركة ال

ماهو دور منظمة العمل الشيوعي في ابتزاز هذه القضية

بقلم ن. خليفة

قضية المخطوفين لا تزال معلقة. مجلس الوزراء يعقد اجتماعاً استثنائياً ثانياً لمعالجة هذه المسألة الشائكة التي كادت أن تنسف الخطة الأمنية الموضوعة لبيروت الكبرى. وقضية المخطوفين لا تزال الى الآن أشبه بقنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة في وجه الحكم والحكومة مهدّدة بإعادة البلاد الى أجواء الاضطراب والبلبلة.

بين الكثير مما كتب وقيل حول هذا الموضوع، لم تولَ أهمية كافية للدلالات السياسية لطرح مسألة المخطوفين في الشكل الذي تطرح فيه وفي المضمون الذي يتم التعبير عنه.

هذه العجالة تلقي بعض الضوء على هاتين الناحيتين قبل أن يعاد تمثيل الفيلم الدرامي مرة جديدة عبر شوارع بيروت الكبرى وممراتها.

١ - نود بادىء ذي بدء أن نعبّر عن احترامنا وتقديرنا للمشاعر النبيلة التي تخالج أهل كل مخطوف ومفقود. وبهذا المعنى ندرك، والجميع يدركون معنى العذاب النفسي والألم الداخلي اللذين يعانيهما أهل كل مفقود، كما يدركون ويتفهمون معنى ردود الفعل الصادرة عن هؤلاء الأهل. إنها ردود فعل مشروعة في مشكلة إنسانية يفترض في كل مسؤول وقادر ان يوصلها الى خواتيمها في أسرع وقت ممكن.

٢ - إلى جانب هذا الموقف «المبدئي»، نود أن نفرّق بين وضعين وهدفين:

■ وضع المخطوفين الحقيقيين ووضع المخطوفين «الافتراضيين»!

■ هدف المطالبة بحق، وهدف استغلال قضية.

وفي ضوء هذين الوضعين والهدفين، لا يمكن أن تطول هذه المقالة قضية المخطوفين كقضية انسانية عادلة، بل هي تطول «القضية» كأسلوب للابتزاز السياسي من جهة واحدة ومعروفة!

أولاً - حرب غير مباشرة

١ - يمكن أن نطلق على القوى التي تسعى الى ابتزاز موضوع المخطوفين تسمية «قوى الظل». ففي مسار الحرب اللبنانية، وبخاصة بعد الفرز الطوائفي الذي انتهت اليه أحداث شباط ١٩٨٤، كانت تقوم الى جانب القوى الطوائفية الأساسية قوى راديكالية دينية وعقائدية. وهذه القوى الأخيرة كانت تشعر دائماً بأنها «مستبعدة» ومقصيّة عن كل تسوية تتم بين القوى الرئيسية والأساسية سواء على مستوى الداخل أو على المستويين الإقليمي والدولي.

ولأن هذه القوى الراديكالية هي قوى حية وفاعلة (بل القوى الحية والفاعلة) على رغم حجمها المحدود ربمّا،

ولأن هذه القوى الراديكالية هي القوى التي تمتلك وحدها طرحاً شاملاً ومتكاملاً للوضع في وجوهه السياسية والحياتية،

ولأن هذه القوى الراديكالية ليست قادرة على فرض وجهة نظرها على قوى التسوية الانتر - طوائفية. ولا هي قادرة على شن مواجهة مكشوفة مع هذه القوى،

ولأن هذه القوى الراديكالية غير قابلة أصلاً بأي شكل من أشكال التسوية، ولكنها غير قادرة على فرض أي شكل من أشكال الحلول الراديكالية بفعل ميزان القوى الانتر - طوائفي.

لكل هذه الأسباب كان يجري «تهميش» هذه القوى في كل اتفاق أو تسوية وهذا ما حصل بعد مؤتمري جنيف ولوزان، وبالتالي في حكومة الوحدة الوطنية الحالية.

ولكن... ما هو رد هذه القوى الراديكالية على عمليّة «التهميش» هذه؟

هل ستقبل بها؟

هل سترفضها؟

وبالتالي: ما الذي ستفعله؟

٢ - في غياب القدرة (مؤقتاً) على شن حرب المواجهة المباشرة مع القوى التسوَوية، تقوم القوى الراديكالية بشن حرب غير مباشرة هي أقل كلفة وأكثر مردودا. إنها حرب الابتزاز السياسي. ويعمل «الاختصاصيون» في التكتيك الماركسي - اللينيني (مثلاً) على:

- أن يكون موضوع الابتزاز مثيراً ومحرجاً،

- وأن يكون الأسلوب المتبع مثيراً ومحرجاً،

- وأن يصب كل ذلك في خدمة الهدف العام والأهداف الفرعية التي تعمل القوى الراديكالية على تحقيقها.

... وهذا ما يقدّمه موضوع المخطوفين والمفقودين، كواحد من أكثر المواضيع قابلية للابتزاز في الحرب اللبنانية.

ثانياً - من هم المستغلون؟

إن الفئات التي تستغل موضوع المخطوفين والمفقودين كثيرة ومتنوعة: بعضها هامشيّ وبعضها مرحلي وبعضها سطحيّ... وبعضها محترف في فن الاستغلال والابتزاز السياسيين. من هنا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أمرين مهمين:

■ الأول: أن مسألة المخطوفين لم تولد صدفة صبيحة تطبيق الخطة الأمنية لبيروت الكبرى. بل إنها مسألة دُرست ونظّمت ورتّبت منذ مدة غير قصيرة على يد اختصاصيين محترفين تمهيداً لإطلاقها وتفجيرها في الظرف المناسب والمكان المناسب.

■ والثاني: إن بين الجهات والفئات السنية والشيعية (الدينية والسياسية) التي تعمل على إثارة هذه المسألة لأكثر من سبب وهدف، فالمحرك الحقيقي (المدرب الحقيقي والمنسق الحقيقي) لهذه المسألة كان ولا يزال بيد منظمة العمل الشيوعي وبالتحديد بيد السيد محسن ابراهيم.

صحيح أن هناك جهات سنيّة تتنافس فيما بينها على زعامة الشارع السني من خلال طرح «مأساة» المخطوفين (صراع رجال الدين ورجال السياسة السنّة بحيث تحاول دار الفتوى من خلال الرئيس الحص قطع الطريق على الآخرين).

وصحيح أيضاً أن التيار السنيّ يطرح هذه المسألة كاحراج للتيار الشيعي الذي فرض هيمنته على بيروت الغربية.

وصحيح أيضاً أن الطرح القائل بأن اعلان حرب المخطوفين يقصد منه ابعاد وتأخير زمن الحرب المذهبية في بيروت الغربية.

...كل ذلك يبقى جزءاً من الاوركسترا. ولكن المهم هو معرفة قائد الأوركسترا الذي يوزع الأدوار ويقود العملية كلها.

والسؤال هنا يصبح هكذا: من يستغل مسألة المخطوفين... بل من يستفيد من مسألة المخطوفين؟

بمعنى آخر: إذا كان محسن ابراهيم هو الثائر والمحرك لمسألة المخطوفين والمفقودين، فما هي المبرّرات (ما هي الأهداف) التي يعمل على تحقيقها من خلال هذه المسألة؟

ثالثاً - مأزق منظمة العمل الشيوعي!

لكي نفهم أهداف الابتزاز ونحددها، علينا أن نشير الى وضع القوى السياسية التي تمارس هذا الابتزاز وفي مقدمها منظمة العمل الشيوعي.

١ - كانت منظمة العمل الشيوعي النقطة التي تتقاطع عليها العلاقات الاسلامية - الفلسطينية - اليسارية في بداية الحرب.

٢ - ثم كانت منظمة العمل الشيوعي هي النقطة المركزية في نشاط الحركة الوطنية من بعد.

٣ - ثم كانت منظمة العمل الشيوعي مهندس العلاقات اليسارية - السورية في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات.

٤ - مع الاجتياح الاسرائيلي ووصول الكتائب الى رئاسة الجمهورية وأحداث الجبل وبيروت انحسر نفوذ محسن ابراهيم، وصار يعيش متخفياً بعدما فقد «مفاتيح» اللعبة التي كان يتقنها داخل الشارع الاسلامي وداخل القوى اليسارية.

٥ - وازدادت عزلته بعد الحرب السورية على ياسر عرفات. فقد وقف محسن ابراهيم الى جانب ياسر عرفات ضد سوريا مما جعله في وضع صعب وخطر بعد إخراج عرفات من طرابلس، بحيث أصبح محسن ابراهيم في عداد المطلوبين من السلطات السورية.

٦ - إن اخراج الفلسطينيين من بيروت والجنوب، ومن ثم اخراج عرفات من طرابلس، وسيطرة جنبلاط على الشوف، هذه الأمور عرّت محسن ابراهيم سياسياً، وأوجدت فرزاً جديداً للقوى داخل الساحة الاسلامو - يسارية. وفي هذا الفرز الجديد تسلمت القوى الطوائفية (برّي - وجنبلاط) زعامة العمل السياسي بدعم سوري، وبالتالي جرى «تهميش» الحركات العقائدية وفي مقدمها منظمة العمل الشيوعي التي فقدت الكثير من دورها وتأثيرها وحضورها في العمل السياسي على الساحة الاسلامو - يسارية.

٧ - إن ما أصاب منظمة العمل الشيوعي أصاب أيضاً، ولكن بنسبة أقل، فصائل أخرى من الحركة الوطنية السابقة بينها الحزب الشيوعي، والحزب السوري القومي الاجتماعي. غير أن شفاعة موسكو للأول ابقته في حدود معينة من المصداقية، في حين أن علاقة الحزب السوري القومي الحميمة بسوريا وامتلاكه الوجود الديمغرافي على الأرض (المتن الأعلى - الكورة...) اعطياه بعض المناعة السياسية وهو ما أكدته أحداث الكورة الأخيرة. أما منظمة العمل الشيوعي، فعلى رغم امتلاكها القدرة والفعالية في التنظيم الحزبي والطرح السياسي، تفتقر الى وجود ديمغرافي على الخريطة اللبنانية وهي تعاني ثقل الملاحقة السورية لها بعد تاييدها عرفات. (وبالتالي ملاحقة حركة أمل نظراً الى الحسابات القديمة بين الجانبين في الجنوب والضاحية الجنوبية ونظراً الى الحسابات الجديدة بين محسن ابراهيم وسوريا).

٨ - والأهم في كل هذه الأمور وصول كتائبي (بل كتائبيان) الى رئاسة الدولة اللبنانية. هذا الأمر يشكل في حد ذاته نقضاً مبدئياً للطروحات والمواقف التي أطلقها ودافع عنها محسن ابراهيم طيلة سنوات الحرب. فهذا النظام «الكسيح» في مفهوم محسن ابراهيم كان شبه مقبول كهدف للتحطيم والتكسير في وجود رموز

«البورجوازية»، مع شبه وجود شخص حيادي أو شبه حيادي أو وسطي في رئاسة الدولة. وبديل أن تميل «الثورة» بالنظام ورموزه نحو مزيد من اليسارية عبر الصراع المسلّح، منها إن النظام برموزه يميل نحو مزيد من اليمينية «الفاشية» بوصول حزب الكتائب الى رئاسة الدولة. بمعنى آخر، ان هذه الحرب أفرزت نتائج هي النقيض تماماً لما عمل له ودافع عنه محسن ابراهيم. وسقوط مشروعه السياسي هو ناتج نجاح مشروع آخر هو «المشروع الكتائبي».

٩ - وأخطر ما في المشروع الكتائبي على محسن ابراهيم والراديكاليين والمتضرّرين الآخرين هو أنه مشروع تسووي في آفاقه المرحلية على الأقل. (ولعل وثيقة التسوية الأخيرة التي تجري دراستها الآن هي خير دليل على ذلك). ومحسن ابراهيم يدرك تماماً أن الطرح الطوائفي اللبناني (بكل طبعاته: المارونية والسنية والشيعية والدرزية...) هو في النهاية طرح تسووي مهما استعمل من أدبيات ومفردات الثورية والتقدمية (على أسلوب جنبلاط وبرّي). وبالتالي، ان الطروحات التسووية متلاقية من دون شك، ولقاؤها سيكون على حساب الطروحات الأخرى... وفي رأسها طرح محسن ابراهيم ومشروعه السياسي. وهذا ما ينبغي تجنبه وتفشيله في المرحلة الراهنة حتى ولو كانت هذه التسوية بإرادة سورية ودعم سوري!

رابعاً - في أهداف الابتزاز لموضوع المخطوفين والمفقودين

من العام ١٩٦٩ الى اليوم كان محسن ابراهيم مدركاً لمحدودية قوّته السياسية «ككميّة» ولكنه مدرك في الوقت عينه اتساع قوته السياسية «كنوعية». لذا عمل على استخدام أفضل التكتيك للوصول الى أهدافه الستراتيجية:

- من استعمال الفلسطينيين كرافعة تاريخية،
- الى استعمال الحركة الوطنية كمتراس «تاريخي»،
- الى استعمال السوريين «كعصا» تاريخية،
- وأخيراً... الى استعمال المخطوفين والمفقودين «كحاجز» تاريخي!

فما الذي حققه (أو يسعى الى تحقيقه) محسن ابراهيم بواسطة حاجز المخطوفين والمفقودين؟

١ - إنه يؤكد وجوده وحضوره وقوته كفصيل سياسي قادر على تحريك الوضع داخل المنطقة الغربية من بيروت، وبالتالي لا يمكن لأي قوة سياسية (أو عسكرية) أن تتجاهل أو تتجاوز هذا «الحضور»!

٢ - إنه قادر على احراج (بل وتحدّي) حركة أمل ونبيه برّي بالذات ووضعه أمام مأزق حرج، وإظهار عدم قدرة برّي على التحكم بالمنطقة الغربية. ومحسن ابراهيم يلتقي في هذا الهدف مع فصيل شيعي راديكالي هو «أمل الاسلامية» وجناحها حزب الله، مما دفع نبيه برّي الى القول: «اننا أصبحنا نخشى على طهارة هذا التحرك ونقاوته وسلامة سريرة ذوي المخطوفين، والواجب أن ننبه الى عدم الاستغلال وكي لا تنسى القضية الكبرى في هذا الاطار، اي اعادة المخطوفين في قضايا تغطيها سحب الدواليب المحترقة». (الصحف ١٠/٧/١٩٨٤).

٣ - اقفال المعابر في وجه الرئيس حافظ الأسد بالذات صبيحة اليوم الذي كان يُجسّد انتصار الرئيس السوري في لبنان. فصباح الاثنين ٩/٧/١٩٨٤ أقفل أهالي المخطوفين والمفقودين «بايعاز ما» المعابر الأربعة التي كانت ستفتح صبيحة ذلك النهار بين البيروتين ومنعوا سوريا من تحقيق نشوة الانتصار في خواتيمه السعيدة واثبتوا أن سوريا لا تملك العصا السحرية القادرة عل التحكّم بالوضع اللبناني. وبديل ان تتناقل وسائل الاعلام العالمية نجاح الخطوة السورية، من خلال نجاح الخطة الأمنية، راحت هذه الوسائل تشير الى العوائق الكبرى أمام الخطوة السورية والتي سدّت الطريق على هذه الخطوة وهي مسألة المخطوفين والمفقودين!

٤ - وضع القوى الإسلامية واليسارية كافة في مواجهة قضية تشكل مأزقاً لها جميعاً: ابتداء بدار الفتوى، وصولاً الى القيادات السياسية كافة مما يهدف الى عرقلة وتفشيل كل الجهود والمواقف التي تقوم بها هذه الجهات للوصول الى تفاهم أو تسوية مع الجانب الكتائبي. (من خلال السلطة أو من خلال الحزب أو من خلال القوات اللبنانية.)

٥ - ولعل أهم أهداف الابتزاز لقضية المخطوفين هو السعي الى ضرب مصداقية الكتائب. فمحسن ابراهيم لم يحد عن مبدأ «عزل الكتائب» الشهير العام ١٩٧٥ والذي أوقع فيه كمال جنبلاط. ولئن كان جنبلاط قد اعترف من بعد بأن هذه واحدة من أخطائه في الحرب والتي جرّه اليها محسن ابراهيم (بين الكثير الذين جرّه اليه)، كان محسن ابراهيم ولا يزال يرى أن أي مشروع اسلامي - يساري لن يكتب له النجاح في لبنان ما دام حزب الكتائب واقفاً له بالمرصاد. فبداية انشاء النظام اليساري - الإسلامي في لبنان هي ببداية تدمير الحركة الكتائبية.

وحتى الآن حاول محسن ابراهيم (وسواه) ان يستعمل كل الأساليب للوصول الى هذا الهدف:

- الوسائل السياسية من خلال «العزل» ومعركة الرئاسة.
- الوسائل العسكرية من خلال حرب الجبل (القديمة والحديثة). وحروب الضاحية وبيروت والشمال والبقاع.
- الوسائل الاعلامية - من خلال الحملة المركّزة على الحزب في كل وسائل الاعلام الاسلامو - يسارية!

واليوم يدرك محسن ابراهيم ان ضرب حزب الكتائب لم يعد ممكناً عسكرياً، ومن الصعب جداً ضربه سياسياً،

- التتمة في الصفحة ١١ -

من حصاد الاسبوع - تتمة

وصار من المشكوك فيه النيل منه اعلامياً،

لذلك ينصبّ العمل الابتزازي الكبير على حزبه «أخلاقياً» ليسهل من بعد ضربه سياسياً!

والمدخل الى كل ذلك موضوع المخطوفين والمفقودين:

- ■ لنلاحظ مثلاً هذا التركيز على حزب الكتائب في موضوع المخطوفين.
- ■ وهذه الأرقام الخيالية التي تطرح في سوق الابتزاز السياسي.
- ■ وهذه البيانات التي ليست صادرة عن لجنة أهالي المخطوفين في الغربية، بل عن فئات محترفة في العمل السياسي تقف وراء هؤلاء الأهالي.
- ■ وهذه الدعايات على قمصان الأطفال وصدور النساء وكلّها بهدف النيل من الكتائب كمؤسسة.
- ■ وهذه التصورات الخيالية عن أقبية التعذيب والطوابق... والبحر بما يذكر بأعمال النازية وتفننها في طرائق التعذيب!

وباختصار ان المطلوب من حملة الابتزاز هذه إظهار الكتائب على أنها «حزب فاشستي» وربّما فيه من جماعة «الساديّة وأكلة لحوم البشر» وانه هو المسؤول عن كل مخطوف وخطف كل مفقود فقد. وبهذا المعنى، وبهذه المسؤولية التاريخية، لا يعود من المعقول ولا المقبول أن يتم التفاهم أو التعاون مع هذا الحزب، أو مع رموزه في السلطة،

تحت أي ذريعة كانت،

وتحت أي ضغط كان.

فالمطلوب أولاً وأخيراً عزل هذا الحزب... وتدميره (إذا أمكن).

إنه حزب «مصاصي دماء»،

إنه حزب عدو للعروبة والتقدّمية والاسلام.

إنه نوع آخر من «الصهيونية».

فمنذ بداية هذه الحرب، بل قبل بدايتها،

كانت هناك جهات كثيرة تعمل لهدف واضح ومحدد ألا وهو:

منع أي جهة عربية أو إسلامية داخل لبنان وخارجه من التفاهم والتعاون مع حزب الكتائب. (سواء بالتشهير به على أساس اتهامات داخلية (تقتيل وخطف ومجازر وتهجير)، أو على أساس اتهامات خارجية (العلاقة باسرائيل).

وهذه الجهات موزعة من أقصى اليمين (العميد اده) الى أقصى اليسار (محسن ابراهيم) ولكنها تلتقي حول نقطة واحدة: ان الوجود الكتائبي يشكل عائقاً جوهرياً يمنعها من تحقيق أهدافها... وأحلامها. سواء في السلطة أو في بنية النظام. لذلك ستبقى آفاقها مغلقة ما دامت مصداقية الكتائب قائمة وراسخة في حياة لبنان السياسية. وإن ضرب مصداقية الكتائب هي هدف استراتيجي لدى هذه الجهات.

الخلاصة:

ان محسن ابراهيم يمسك الآن بورقة ابتزاز خطرة وخطيرة، وهو قادر على أن يفجرها في وجه الحكم والحكومة «في الوقت المناسب والمكان المناسب» كما يقول بيان لجنة الأهالي الذي يصاغ بأيدي منظمة العمل الشيوعي.

ولعل هذه المقدرة هي التي جعلت السوريين يدعونه الى دمشق مكرّماً بعدما كان مطلوباً من قبل، ويحاولون التفاهم معه على موقف معين من الخطة الأمنية التي تطرح مصداقية سوريا في لبنان على المحك. ولعل هذه الزيارة (أو الوعد بها) هي التي أوقفت مؤقتاً نشاط أهالي المخطوفين في الغربية من دون أن توقف نهائياً هذا «النشاط»!

والمأساة في قضية المخطوفين والمفقودين مثلثة:

- مأساة الذين خطفوا وفقدوا،
- ومأساة أهلهم الذين يتعذبون،
- ومأساة السلطة التي لم تقدر الى الآن على اكتشاف محرّكي الخيوط من وراء المسارح السياسية، أملاً في اجهاض مخططاتهم أو تفشيلها أو التقليل من أضرارها على البلاد والعباد في عملية ابتزاز مكشوفة؟

وفي كل ذلك لا يسعنا الا أن نقدر للأذكياء ذكاءهم.

... «وبرافو» محسن ابراهيم!

1984uu-0001b-